

الحمار الحليم

جلسَ هناك
وحيداً بلا خيمة
بلا أشجارٍ
تحميه من الشمس
من الحرِّ
من عاصفة عُبارٍ

مُغمضُ العينينِ
في صحراء قاحلةٍ
حارقةٍ
يحتمي بظل حمارٍ

وعلى الجانبِ الآخر
جنان وارفة الظلال
قصورٌ شامخة
حدائق يانعة
مياهٌ جارئةٌ
طيور وأزهارٍ

يملكها سلطانٌ عابسٌ
ورث عن أجداده المُلْكَ
وبعض وقارٍ
وأسواراً من الجهل والفقير
شيدوها حولَ الشعبِ
أعلى جدارٍ

نظرتُ إلى السماء
أناجيها
أسألها عن العدل
عن الغيبِ
عن الأسرارِ

وأتساءلُ عن الشقاءِ
طريقِ الثراءِ
أسبابِ البؤسِ
ذنوبِ التعساءِ
وتعسفِ الأقدارِ

انتظرتُ حتى تعبتُ
وطال بي الانتظارُ
لم أسمع جواباً
استفساراً
ولا أعذاراً

ومن بعيدٍ بعيدٍ
سمعت صوت المؤذنِ
مبحوحاً
مهموماً
يلعنُ الأبالسةَ
والأشرارَ

يحذر المؤمنين
من غواية الشيطانِ
من حياةٍ فانيةٍ

من عذاب القبر
والنارُ

ويحثُّهم على الصبر
والصلاة
مساعدة الفقراء
إطاعة أولي الأمر
والاستسلام لمشئئة الأقدارُ

أدرت وجهي نحو الحمارُ
وجدته يقف بثقة
وكل وقارُ
يحترقُ
يختنقُ
ليحمي سيده من قسوة الشمس
من الحر
وعاصفةِ غُبارُ

شعرت برغبةٍ جامحةٍ لمصافحتهِ
مُعانقتهِ
وتتويجه أميراً للرحمةِ
على أرض سادها الظلمُ
عمها الفسادُ
استباحها الأقوياءُ
وغرق في وحلها الشُّطار

رأيتُ في عينيه دمعةً حزن حارقة
غضباً عارماً

وشعلة نارٍ
تبكي أمةً جاهلةً
تحسبُ الخنوعَ تواضعاً
والفقرَ قدراً
والذلَّ صبراً
والصراحةَ وقاحةً
والحبَّ عاراً

أمة سادها الجهلُ
والبؤسُ
وخيم على أرضها ظلام الليل
مؤسسات القمع
وعقلية النفاق والاستهتارُ
تتباهى في روايتها السجون
وتغيب عن سمائها الحرية
الفكر المستنير
وعذرية الأعمارُ

وعلى شفثيه سمعتُ همساً
كلمات إباءٍ
واستنكارُ
ترفضُ إمارةً عاقرةً
وقصوراً فاجرةً
يُلطخ جبينها الذلُّ والعارُ

انحنيتُ إجلالاً لحمار شهيم
شقاؤهُ رحمةٌ
غباؤهُ حكمةٌ

عِناﺩةُ قﺩوةٍ
تُﺟﺪﺩُ الأمل
وتُشرفُ الأحرارُ

ﺩ. محمد ربيع

www.yazour.com